﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾

[غافر: 15 - 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لِما قبلَهُما:

بعد ذِكرِ الأدلَّة الموجبة لإخلاص العبادة؛ انتقل إلى ذِكر صفات المعبود

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة أدلَّةَ التَّوحيدِ مِنَ الآيات الكونيَّة ممّا يراه النّاس ليعتبروا به، ثم جاء الأمرُ لهم بوجوب الإخلاصِ في عبادة الله تعالى وحده وطاعته، وأنَّه لا يَقبَلُ عملًا دونه؛ ذكرَ من صفاتِ جلالِه وكمالِه ما يقتضي إخلاصَ العبادة له؛ حثًّا عليه وتشويقًا إليه، فقال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾، ولمّا أفهمَ قوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ أنَّه لا حجابَ يومئذٍ من بيوتٍ أو جبالٍ أو أشجارٍ أو تلالٍ؛ نبَّه عليه معيدًا ذِكرَ اليوم بوصفٍ هو أهول منه، فقال: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَفِيعُ﴾: أصلُ (رفع) أصلٌ واحِدٌ، يدُلُّ على خِلافِ الوَضْعِ، تقولُ: رفعتُ الشَّيءَ رفْعًا، وهو خِلافُ الخَفْضِ[2]، الرَّفْعُ يقال تارةً في الأجسام الموضوعة؛ إذا أعليتها عن مقرِّها، نحو: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 93]، وتارةً في البناء؛ إذا طوَّلته، نحو قوله: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [البقرة: 127]، وتارةً في الذِّكر؛ إذا نوَّهته، نحو قوله: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [الشرح: 4]، وتارةً في المنزلة؛

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 27.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رفع).

إذا شرَّفتها، نحو قوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [يوسف: 76][1]، ولا يُقال: رَفُعَ، ولَكِن ارتَفَعَ، وقيل: رَفُعَ رِفْعَةً بالكَسر، أي: شَرُفَ وعَلا، وارتفعَ قَدْرُهُ، فهو رفيعٌ، والأُنثى رفيعةٌ، وهو مجازٌ، ويُقال: هو رفيعُ الحَسَبِ والقَدْرِ[2]، والمقصود بـ ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: عَليُّ القَدْرِ، جليلُ الشَّأنِ في ذاتِهِ وفي صفاته[3].

2) ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾: أصلُ (عرش): يدُلُّ على ارتفاعٍ في شيءٍ مَبْنيٍّ، يُقالُ: عَرَشْتُ الشَّيءَ، وعَرَّشْتُهُ، أعرُشُهُ، تَعريشًا، أي: رفَعتُه[4]، والعَرْشُ حَقيقَتُهُ: الكُرسيُّ المُرتَفِعُ الَّذي يَجلِسُ عليه المَلِكُ، قالَ تَعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف: 100]، وكُنّي به عن العِزِّ والسُّلطان والمملكة، قيل: فلان ثُلَّ عَرْشُهُ، وعَرْشُ اللّهِ: ما لا يعلمه البشرُ على الحقيقة إلّا بالاسم[5]، والمقصودُ بالعرش في الآية: مركزُ التَّدبير، ولا نعلم كنهه ولا صفته، والمرادُ بِذي العَرْشِ: اللّه تَعالَى، مالكهُ وخالقُهُ لا عن حاجة إليه[6].

3) ﴿يُلۡقِي﴾: أصلُ (لقي) يدلُّ على طَرْحِ شيءٍ[7]، والإلقاءُ: طَرْحُ الشَّيء حيثُ تلقاه، أي: تراه، ثمَّ صارَ في التَّعارف اسمًا لكلِّ طَرْحٍ[8]، ويُطلَقُ على الإفضاءِ بالكلام: ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ [الشُّعراء: 223]، وعلى حُصولِ الشَّيءِ في النَّفْسِ كأنَّ مُلقيًا ألقاهُ، أي: مِنْ غير سَبْقِ تهيُّؤٍ: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ [المائدة: 64][9]، كما يُطلق على الإعطاء؛ إذا كانَ غيرَ مُترقِّبٍ، ومثاله: ﴿فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٨٦ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾ [النّحل: 86 - 87]، والمقصود في الآية: إنزالُ الوحي على مَن يشاء مِنَ الرُّسل.

4) ﴿ٱلرُّوحَ﴾: (روح): أصلٌ مُطَّردٌ، يَدُلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطِّرادٍ، والرّوحُ روحُ الإنسانِ، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ الرّيحِ، وكذلكَ البابُ كُلُّهُ[10]، والرّوحُ: النَّفْسُ الَّتي يحيا بها البدنُ،

(1) الراغب، المفردات: (رفع).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (رفع).
(3) مجمع البحوث، التفسير البسيط: 8/ 619.
(4) الخليل، والعين، والأزهري، تهذيب اللغة: (عرش).
(5) الراغب، المفردات: (عرش).
(6) المراغي، تفسير القرآن: 11/ 62.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لقي).
(8) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، والزبيدي، تاج العروس: (لقى).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/ 123.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (روح).

يُذَكَّرُ، ويُؤنَّثُ، يُقالُ: خرجت روحُهُ، أي: نَفْسُه[1]، والرّوحُ: المَلَكُ، قالَ تَعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مَريَم: 17]، أي: مَلَكًا من مَلائِكَتِنا، والمرادُ بالرّوحِ في الآية: الوحْيُ، وسُمّيَ الوحْيُ روحًا؛ لأنَّ حياةَ القُلوبِ والأرواحِ به، كما أنَّ حياةَ الأبدانِ بالأرواحِ[2].

5) ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾: أصلُ (لقي) يدلُّ على توافي شيئَيْنِ[3]، واللِّقاءُ: مُقابلةُ الشَّيءِ ومصادفته معًا، ويُقال ذلك في الإدراك بالحسِّ، وبالبَصر، وبالبصيرة[4]، ولقيتُه لَقْوَةً، أي: مَرَّةً واحِدَةً ولقاءةً، واللُّقْيَةُ فُعْلَةٌ من اللِّقاءِ، والجَمْعُ لُقًى[5]، والالتِقاءُ: المُحاذاةُ[6]، والتَّلَقّي: استقبالُ ما يُلْقَى[7]، والمقصودُ بيوم التَّلاقي: هو يومُ الحَشْرِ، وسُمّي بذلك؛ لأنَّ النّاس كلَّهُم يلتقون فيه، أو لأنَّهُم يلْقَونَ ربَّهُم لِقاءً مجازيًّا، بمعنى حضورِهم عنده سبحانه[8].

6) ﴿بَٰرِزُونَ﴾: أصلُ (برز) يدلُّ على ظُهورِ الشَّيءِ وبُدوِّه، قياسٌ لا يُخْلِفُ، يُقالُ: بَرَزَ الشَّيءُ، فهو بارزٌ، وكذلكَ انفرادُ الشَّيءِ مِنْ أمثالِه، نحو: تَبارُزِ الفارسَيْنِ، وذلك أنَّ كلَّ واحدٍ منهما ينفردُ عَنْ جماعتِهِ إلى صاحبِه، والبَرازُ المُتَّسِعُ من الأرضِ؛ لأنَّهُ بادٍ ليس بغائطٍ ولا دَحْلٍ ولا هوَّةٍ[9]، وبرَزَ فلانٌ يَبْرُزُ بالتَّخفيف، أي: ظهَر بعد الخفاء، وأبرَزتُ الكتاب والشَّيء، أي: أظهرته[10]، والمقصودُ بالبروز في الآية: الظُّهورُ والانكشاف، أي: ظاهرون لا يخفى على اللّه منهم شيء، أو لا يسترهم شيءٌ من جبَلٍ أو أكمة أو بناء[11].

7) ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: أصلُ (ملك) يدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيء وصِحَّةٍ، يُقالُ: أمْلَكَ عجينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ وشَدَّهُ، ومَلَّكْتُ الشَّيء: قَوَّيْتُهُ، والأصلُ هذا، ثُمَّ قيلَ: مَلَكَ الإنسانُ الشَّيء يملِكُه مَلْكًا، والاسمُ المِلْكُ؛ لأنَّ يَدَهُ فيه قويَّةٌ صحيحةٌ[12]، والمُلْك: نَوْعٌ من المِلْكِ - بِكَسْرِ الميم -

(1) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة: (روح).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 198.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لقي).
(4) الراغب، المفردات: (لقي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لقي).
(6) الزبيدي، تاج العروس: (لقي).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (لقي).
(8) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (لقي)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 109.
(9) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (برز).
(10) الخليل، العين: (برز).
(11) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 8/ 620، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 272.
(12) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (ملك).

فالمِلْكُ جِنْسٌ والمُلْكُ بالضَّمِّ: نَوْعٌ مِنْهُ، وهو أعلَى أنواعِهِ[1]، والمُرادُ بالمُلْكِ في الآية: الحقُّ الدّائمُ للّه تعالى.

8) ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾: أصلُ (قهر) يدُلُّ على غلَبةٍ وعُلوٍّ، يُقالُ: قَهَره يَقْهَره قَهْرًا؛ فهو قاهِرٌ، وقهّار للمُبالَغة، وأقهرتُ الرَّجُل؛ إذا وجَدْتَهُ مَقهورًا، أو صارَ أمرُه إلى القَهْر[2]، والقَهّار صفةٌ للّه ﷻ ثابتةٌ بالكتاب، وهو الَّذي يقهر كلَّ شيءٍ، فيغلبه ويصرِفه لما يشاء كيف يشاء[3]. والمقصود بـ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ في الآية: الغَلَبةُ والتَّذليلُ معًا[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

السُّلطانُ المُطلق والمُلك التّام لله الواحد القهّار

تُبيِّن الآية الكريمة الصِّفات التي لأجلها استحقَّ ﷻ أن يُعبدَ دون سواه، في كونه هو وحده صاحب الرِّفعة والمقام العالي، وهو وحده صاحبُ العرش العظيم، الَّذي لا يعلم مقدار عظمته إلّا هو، يُنزِّلُ الوحيَ مِن أمرِه على مَن يَشاءُ مِن عِبادِه، وهم الرُّسلُ؛ ليُخوِّفَ النّاسَ، ويُحذِّرَهم يومَ القيامة، ثمَّ بيَّنتِ الآيةُ التي تليها ذِكرَ بعضِ أحوالِ النّاسِ في هذا اليومِ الَّذي يَبرُزُ فيه النّاسُ بعدَ خُروجِهم مِن قُبورِهم في صَعيدٍ واحِدٍ، لا يَخفَى على اللّهِ مِنَ النّاسِ شَيءٌ، ثمَّ يَقولُ اللّهُ يومَ القيامةِ: لِمَنِ المُلكُ اليَومَ؟ فيُجيبُ نَفْسَه تعالى، فيَقولُ: للّه الواحِدِ الَّذي لا شَريكَ له، القَهّارِ الَّذي قَهَر، وغَلَب كُلَّ شَيءٍ[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ الجملة من السّابق:

توالي الأخبارِ عن الله تعالى بيانٌ لعظيم أوصافِه وجميل نعوتِه

قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ استئنافٌ؛ والجملةُ خبرٌ

(1) الراغب، المفردات: (ملك)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 213.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (قهر).
(3) الخطابي، شأن الدعاء، ص: 315، والبيهقي، الأسماء والصفات، ص: 315.
(4) الراغب، المفردات: (قهر).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 294، 296، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 498، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 734، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 271.

آخر عن الله تعالى بعد أن أخبر عنه في قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾، فالجملةُ على معنى البيان والإيضاح لصفاتِ المخبَر عنه، وهو الله تعالى، سواء أكانت الجملةُ خبرًا بعدَ خبرٍ، أم كان قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ خبرًا لمبتدأٍ محذوف.

المسندُ إليه بين التَّقدُّم والحذف:

معرفةُ المسند إليه تُغني عن ذكـــره، فيـأتي المسندُ واضحًا في البيان

الظّاهر أنَّ التَّراكيب الثَّلاثة في قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ أخبارٌ لمبتدأٍ محذوف، تقديرهُ: هو[1]، وسبب الحذف ونكتتُهُ هو أنَّه لمّا كانَ المحدَّثُ عنه - وهو الله تعالى - مستحضَرًا في أذهان السّامعين بما أُخبرَ عنه في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾، وكان قوله: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ تفريعًا لِما تقدَّمه، فلمّا رجعَ الكلام إلى ذِكر أوصاف الله تعالى والإخبار عنه؛ كان حذفُ المبتدأِ هو قلادةَ الجيد، وقاعدة التَّجويد، وفيه من اللُّطف والظَّرف والأنس والحسن ما لا تجده لو أُظهِرَ المحذوفُ بأن قيل: (هو رفيعُ الدَّرجات ذو العرش يلقي الرّوح من أمره)، وهذه طريقةٌ في الكلام البليغ معتادة ومستمرَّة، والقصد منها مدح المخبَر عنه، كما أنَّ في حذف المبتدأِ إيذانًا بأنَّ الخبرَ لا يصلح إلّا لله تعالى حقيقةً[2]، وذهب بعض النُّحّاة والمفسِّرين إلى أنَّه خبرٌ بعد خبر بمعنى: أنَّ قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أخبارٌ للمبتدأِ ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾، فيكون قد أخبر عن المبتدأِ أربعة أخبار[3]، فيكون من باب تعدُّد الخبر؛ إشعارًا بعظم شأنِ المسندِ إليه، وتنوُّع أوصافِه الجليلة.

(1) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 156، والمنتجب، الكتاب الفريد: 5/ 480.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز: 147 وما بعدها، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص: 176، والتفتازاني، المطول، ص: 212.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 156.

بلاغةُ نمط التَّعديد:

تعدُّدُ الأخبار تعظيمٌ لِشأنِ المخبَر عنه وإخطارٌ بعظم حاله

جاء الإخبارُ عن صفات الله تعالى في قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ على نمط تعديد الأخبارِ، لا على طريق العطفِ، ونكتةُ ذلك هو أنَّه لمّا كانت هذ الأخبارُ تجري مجرى الأوصافِ لذاتٍ واحدةٍ؛ دلَّ عدمُ العطف على أنَّها كلَّها تصدقُ على ذاتٍ واحدةٍ وبدرجة واحدة؛ ليُفيد تعدُّد الأخبار تعظيمَ شأنِ المخبَر عنه، فإن أخبرت عنه بأيِّ تركيب؛ تلقَّته العقول بالقَبول، وكان له من القوَّة ما لبقيَّة الأخبار، والتَّقديم والتَّأخير بين الأخبار باعتبار السّياق، ولكلِّ سياقٍ خصوصيَّةٌ يُكشف فيها حسنُ الاختيار بين نمط التَّعديد، والعطف، والتَّقديم والتَّأخير.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة المبالغة:

رفعةُ شأنِ الله وعلوُّ سلطانِه مؤذنٌ بكمالِ صفاتِه الجليلة

الظّاهر أنَّ ﴿رَفِيعُ﴾ صفةٌ مشبَّهة، والمعنى: رفيعٌ درجاتُه؛ ليدلَّ بقولِه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ بطريق الكنايةِ[1] على رِفعة شأنه وعلوِّ سلطانه، ويحتمل أن يكون ﴿رَفِيعُ﴾ من أمثلةِ المبالغة؛ للدَّلالة على الكثرة والمبالغة، فيكون مِنَ الإضافة إلى المفعول، والمعنى: كثيرُ رفعِ الدَّرجات، فيكون راجعًا إلى صفاتِ فعل الله تعالى؛ ليدلَّ على التَّفاوت في رفع الدَّرجات، وفيه أوجهٌ في بيان المقصود من المعنى، منها أن يكونَ المعنى رافعَ السَّماوات، أي: سماء فوق سماء، فيكون كنايةً عن عزِّهِ وعظيم سلطانِه، فالمآلُ في الوجهين واحد.

بلاغةُ المجاز في لفظ ﴿ٱلدَّرَجَٰتِ﴾:

ارتفاعُ درجات العليِّ علوٌّ للمؤمنين في جنّات النَّعيم

التَّعبيرُ بلفظ ﴿ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ مجازٌ بتشبيه المجد والعظمة بعلوِّ الدَّرجات، وجَمْعُ ﴿ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ إيذانٌ بكثرةِ العظَماتِ باعتبارِ صفاتِ مجدِ الله وكمالاتِه الَّتي لا تُحصى[2]، أي: ارتفعت درجات كمالِهِ بحيثُ لا يظهر دونها كمال.

(1) الطيبي، حاشية على الكشاف: 13/ 480.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 106.

وإذا كان معنى ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: رافعَ درجاتِ المؤمنين في الجنَّة، فيكون الكلامُ على طريق الاستعارة، باستعارة الدَّرجات لمراتب القرب إن كان المرادُ الدَّرجاتِ في الدُّنيا، أو باستعارة الدَّرجات لمراتب الثَّواب استعارةَ محسوسٍ لمعقول؛ ليُفيدَ أنَّ كلَّ درجةٍ وفضيلةٍ تحصل للمؤمنين في الجنَّة، فإنَّما تحصل بإيجادِه وفضلِه ورحمته[1].

نكتةُ استعمال ﴿ذُو﴾:

﴿ذُو﴾ في قولِه تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ بمعنى صاحب، وعبَّر بـ﴿ذُو﴾ دون (صاحب)؛ لِما تفيده ﴿ذُو﴾ من معنى تمكُّن الموصوف من اسم الجنس الذي أُضيفت إليه ﴿ذُو﴾؛ ليفيد قولُه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ ثباتَ ملكِه وسلطانِه عليه وتمكُّنه تعالى منه.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْعَرْشِ﴾:

(أل) في لفظ ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ للعهد، وهو العرشُ المعهود المذكور في القرآن في قولِه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: 5].

مناسبةُ التَّعقيب بين الوصفين ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾:

تقويةُ المعنى للمعنى من أوثق الصِّلات وأرجح الاستدلالات

لمّا كان المقامُ في بيان تفرُّده سبحانه بالألوهيَّة، ووجوب الإخلاص له تعالى والاستدلال عليه؛ ناسب أن يعقِّبَ ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ بقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾؛ للدَّلالة على علوِّ صمديَّته وعدم حاجتِه إلى أيِّ مخلوق، وأنَّ الخلقَ كلَّه محتاجٌ إليه في كلِّ الأمور، وبيانُه أنَّه لمّا دلَّ قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ على عزَّته وملكوته، وأنَّه لا كمالَ سوى كمالِه تعالى؛ دلَّ هذا على تفرُّده بالألوهيَّة وصمديَّته من حيثُ المعقولُ، فلمّا أعقبَهُ بالخبر الثّاني ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾، الدّالِّ على ملكِه جميع العوالم من حيثُ المحسوسُ، دلَّ على أنَّه لا يصحُّ أن يُشرَك به[2]، كما

(1) الطيبي، حاشية على الكشاف: 13/ 480.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 156، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 53.

أنَّه لمّا كان ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ دالًّا على علوِّ شأنِه ورفعة مجدِه؛ ناسبَ تعقيبَهُ بقولِه تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ الدّالِّ على عظيم سلطانِه وواسع ملكه وملكوتِه، فلكلِّ كلمةٍ في القرآن مع صاحبتِها مقامٌ.

نكتةُ تأخير الخبر الثالث ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾:

جاء الخبرُ الثّالث: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ عقبَ ذِكر الخبرين: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾؛ لأنَّه لمّا ذكر من صفاتِ عزَّتِه وملكوتِه؛ ناسب أن يذكر عظيم نعمِهِ على العبادِ بإلقاء الوحي إليهم؛ ليكونَ تمهيدًا لِذكر النُّبوَّة وما يكون من الحساب يوم القيامةِ، ولإفادةِ أنَّ الرَّوحانيّاتِ أيضًا مسخَّراتٌ لأمرِه بإظهار آثارِها، وهو الوحي، كما أنَّ في الإخبار بقوله: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ نكتةً أخرى، وهي أنَّه لمّا ذكر إنزالَ الرِّزقِ الجسمانيِّ الذي هو المطر في قولِه: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾؛ ناسبَ ذِكرَ إنزالِ الرِّزقِ الرّوحانيِّ الذي هو الوحيُ[1].

بعد ذكرِ صفات المرسلِ تُذكر صفة الإرسال

فائدةُ التَّعبير بصيغةِ المضارع:

يفيد التَّعبيرُ بصيغة المضارع ﴿يُلۡقِي﴾ الاستمرارَ التَّجدُّديَّ للوحي من لدن آدم إلى انتهاءِ زمنِ سيِّدنا رسول الله ﷺ، وهو في حكم المستمرِّ إلى يوم القيامةِ، بإقامة مَن يقوم بالدَّعوة، بإحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسُّنَّة والأمر بمقتضاهما، وهو مناسبٌ لقوله تعالى: ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾، أي: من أمرِ الوحي الَّذي هو أمرٌ بالخير وبعْثٌ إليه[2]، ويؤيِّد هذا المعنى ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن سيِّدنا محمَّد رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مئةِ سَنَةٍ مَن يُجَدِّدُ لَها دينَها»[3].

إلقاءُ الوحي متجدِّدٌ في الزَّمان كلِّه بأصل إنزالِه أو بأصل إفهامه

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 53، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 270.
(2) الطيبي، حاشية على الكشاف: 13/ 479، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 109.
(3) أبو داود، سنن أبي داود، الحديث رقم: 4219.

بلاغةُ الاستعارة في فعل الإلقاء:

اجتمعَ في لفظِ الإلقاء سرعةُ الإنزال وقوَّته وثقله على المتلقّي

جاء التَّعبيرُ عن فعل الإنزال بلفظِ الإلقاء في قوله تعالى: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ على طريق الاستعارةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، وبيانُها أنَّ حقيقةَ الإلقاء هي رمي الشَّيء من اليدِ إلى الأرض، أو طرْحُهُ بحيث تلقاه، وتراه، ففيه معنى الاستقبال، ولا ينفكُّ الإلقاء من القوَّة في الطَّرح أو الرَّمي حسًّا أو معنًى[1]، واستُعير لفظ الإلقاء للإعطاء مطلقًا؛ إذا كان غيرَ مترقَّب، واستُعير الإلقاءُ هنا للوحي للإيذانِ بأنَّه يجيءُ فجأةً على غير ترقُّبٍ كإلقاء الشَّيء إلى الأرض[2]، ولمّا كان الإلقاءُ على وجه التَّلقّي والاستقبال؛ أفاد أنَّه منَّةٌ وفضلٌ مِنَ الله تعالى، وقُرِّر هذا الفضل في مقيِّدات الإسناد في قولِه تعالى: ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾، فالرّوح ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾، فهو فضلٌ وكرامةٌ، ثمَّ زادَهُ تقريرًا حينما ذكرَ أنَّه يلقيه: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾، كما أنَّ في استعارةِ لفظ الإلقاء إشعارًا بقوَّة المُلقى وثقله على مَن يشاء مِن عبادِه، فإلقاءُ الله تعالى الرّوحَ من أمرِه على مَن يشاء من عبادِهِ تكريمٌ وتكليفٌ؛ لأنَّ المُلقى عليه مأمورٌ بتحمُّله وتبليغِه، كما أنَّ فيه إيماءً إلى ثقلِهِ على المكلَّفين؛ لأنَّه ينطوي على العذاب لمن كذَّب، وكفر به؛ ولهذا ناسبه أن يعقبَهُ بذِكر الإنذار دون ذِكرِ البشارة في قولِهِ: ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾؛ فاجتمع في الاستعارة معنى المفاجأة، وثقل الوحي، ويعزِّز هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: 5].

بلاغةُ الاستعارة في لفظِ ﴿ٱلرُّوحَ﴾:

الصَّحيح أنَّ المرادَ من ﴿ٱلرُّوحَ﴾ الوحيُ[3]، وهو الشَّريعة الَّتي

(1) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (لقي).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 107.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 363، والبغوي، معالم التنزيل: 4/ 108، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 498، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 53.

بلَّغها الرُّسل إلى أقوامِهم، والتَّعبيرُ عن الوحي بالرّوح استعارةٌ تصريحيَّة بتشبيه الوحي الَّذي تحيا به القلوب بالرّوح الَّتي بها حياةُ الأبدان، وبها انتظام أمورِهم وحياتِهم، ولا تستعارُ الرّوح إلّا لما كان نفيسًا، وبه يكون قوام الشَّيء وبقاؤه، فالجامعُ بين المستعار والمستعار له هو الحياة، "فَكَما تُستَعارُ الحَياةُ لِلإيمانِ والعِلْمِ، كَذَلِكَ يُستَعارُ الرّوحُ الَّذي هوَ سَبَبُ الحَياةِ لِكَمالِ النُّفوسِ وسَلامَتِها مِنَ الطَّوايا السَّيِّئَةِ"[1]، والمعنى: يُلقي الوحي الَّذي تحيا به القلوب، وفي الاستعارة إشارةٌ لطيفة إلى أنَّ كلَّ مهتدٍ حيٌّ، وكلَّ ضالٍّ ميِّتٌ[2]، وبه تكونُ الاستعارةُ أبلغَ في إيصال المعنى من الحقيقة؛ لأنَّها بيانٌ للمعنى، مع مزيد إيضاح للمقصود.

الـوحـيُ روحٌ؛ لأنَّـــه حـيـاةُ الـقـلـوبِ فـإذا أُعرِض عنه ماتت القلوب

معنى تعريف لفظِ ﴿ٱلرُّوحَ﴾:

التَّعريفُ في لفظ ﴿ٱلرُّوحَ﴾ للعهد الذِّهني بقرينة السّياق، والمعنى: يلقي الوحي على رسلِهِ عليهم الصَّلاة والسَّلام، وهي الشَّريعة الَّتي بلَّغها الرُّسل لأقوامِهم.

نوعُ ﴿مِنۡ﴾ وفائدةُ استعمالِها:

الظّاهر أنَّ ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ ابتدائيَّةٌ[3]، وعليه فيحتمل المعنى توجيهين، **الأوَّل:** يُلقي الرّوح، وهو الوحيُ من جهةِ أمرِ اللّه تعالى؛ إيذانًا بعظمِ الأمرِ وبخَصوصيَّتِه، فالإلقاءُ ابتداءً من عند اللّه تعالى، وهو ما يدلُّ على الاختصاص، **والثاني:** يلقي الرّوحَ، وهو الملك المبلِّغ للوحي، أي: يُلقي الرّوحَ الَّذي مبدؤه المَلَك المبلِّغُ إلى مختار النُّبوَّةِ، وعليه يكون المَلَك مبدءًا للوحي باعتبار تلقّيه منه[4]،

تحتمل (مِـنْ) الابتداء والبيان والـسَّـبـبـيَّـة والتَّبعيض

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 107.

(2) الزجاج، معاني القرآن وبيانه: 4/ 369، والبغوي، معالم التنزيل: 4/ 108، والزمخشري، الكشاف: 4/ 156، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 32.

(3) الواحدي، التفسير الوجيز: أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 244، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 17/ 23.

(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 156، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 53، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 309.

ويكون إطلاقُ الأمر على الملَك؛ لكونِه من جهة الله تعالى، أي: بأمرِه، أو لكونِه مأمورًا به ليكون على سبيل المبالغة[1].

وتحتمل ﴿مِنۡ﴾ أن تكون بيانيَّةً، فيكون قوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ بيانًا لِلرّوح وهو الوحي، ولمّا كان الوحيُ أمرًا بالخيرِ؛ كان المعنى: يلقي الرّوح الذي هو أمرٌ بالخير من الله على مَن يشاء مِن عبادِه، فالأمر هنا على معناه[2]، أو المعنى: يُلقي الرّوح، وهو الوحي الَّذي هو من عالمِ أمرِه[3] المقابل لعالم خلقِه.

وتحتمل أن تكونَ سببيَّة، والمعنى: يُلقي الرّوحَ بسبب أمرِه الملك المبلِّغ[4].

وأجاز ابن عاشور أن تكون تبعيضيَّةً، والمعنى: يلقي الرّوح من بعض شؤونه الَّتي لا يطَّلِعُ عليها أحدٌ غيرُه إلّا مَنِ ارتضى ممَّن يشاء مِن عبادِه، فيكون الأمر بمعنى الشَّأن، أي: الشُّؤون العجيبة[5]، وهذه المعاني الأربعة، وهي الابتداءُ والبيان والسَّببيَّة والتَّبعيض صحيحةٌ في ذاتِها، لا ينافر بعضها بعضًا، ولا يناقض معنى أحدها بقيَّة المعاني في غيرِها.

نكتةُ إضافة الأمر إلى الضَّمير:

لمّا كان الضَّمير في قوله تعالى: ﴿أَمۡرِهِۦ﴾ عائدًا إلى الله بما اتَّصف به من أنَّه رفيع الدَّرجات ذو العرش يلقي الرّوح؛ أفادَ عظَمَ أمرِه ورفعتَه وفخامتَه.

دلالةُ القيد ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾:

يحتمل الجارُّ والمجرور ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ أن يكون بيانًا للرّوح، ويحتمل أن يكون حالًا مِنَ المفعول ﴿ٱلرُّوحَ﴾، كما سبق في بيان نوع ﴿مِنۡ﴾ ومعانيها.

نكتةُ تعدية فعل الإلقاء بحرف الاستعلاء:

عُدّي فعلُ الإلقاء في قولِه تعالى: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بحرف الاستعلاء

(1) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 33.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 53، والطيبي، حاشية على الكشاف: 13/ 481.
(3) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 27.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 271.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 107.

إلقاءُ الرّوح يأتي متمكِّنًا راسخًا في المُلقى عليه

﴿عَلَىٰ﴾ للإشعار بتمكُّن الوحي ممَّن يختاره الله تعالى للنُّبوَّة، كما أنَّه لمّا كانَ أمره تعالى غالبًا على كلِّ أمرٍ؛ عبَّر بأداة الاستعلاء[1].

بلاغةُ التَّعريضِ باستعمال الاسم الموصول:

مـدحُ الأنبياء يوجب القدحَ بمعارضيهم

جاء التَّعبيرُ بالاسم الموصول وصلتِه في قولِه تعالى: ﴿مَن يَشَآءُ﴾؛ لبيانِ أنَّ النُّبوَّة عطائيَّة وموهبة إلهيَّةٌ غير مكتسبةٍ، وأنَّها بمحضِ اختيار الله تعالى وعلمِه، ولبيانِ أنَّ إلقاء الرّوح راجعٌ إلى مشيئته تعالى، وليس لأحدٍ أن يعترضَ على مشيئة الله تعالى، ففيه مدحٌ لمن اختارهم الله تعالى، وقدحٌ بالتَّعريض بالمشركين، الذين قالوا: (أبشرًا)؟ وطالبوا بإنزال الملائكة.

نوعُ ﴿مِنۡ﴾ ودلالتها:

الأنبياء اتَّصفوا بالعبوديَّة بعد أن شُرِّفوا بالرِّسالة

﴿مِنۡ﴾ في قولِه تعالى: ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ للتَّبعيض، بمعنى يُلقي الرّوح على مَن يشاءُ مِن بعضِ عبادِه؛ للدَّلالةِ على أنَّ الرُّسل لا يخرجون عن وصف العبوديَّة لله تعالى، وإن خُصّوا بتشريفِهم بإلقاء الوحي عليهم، فاجتمع لهم وصفان: العبوديَّة الحقَّة، والتَّشريف الإلهيُّ.

علَّةُ حذفِ مفعول المشيئة:

حُذِفَ مفعول فعل ﴿يَشَآءُ﴾ للإيجاز، ومفعول المشيئة الأصل فيه الحذف، وتقدير الكلام: يُلقي الرّوح مِن أمرِه على من يشاءُ إلقاءَه عليه من عبادِه.

نوعُ الإضافة وفائدتها:

أُضيفَ لفظُ العباد إلى الضَّمير العائد إلى الله تعالى في قوله: ﴿عِبَادِهِۦٓ﴾، والإضافةُ بمعنى اللّام، أي: عباد له، فأفادتِ الاختصاص.

نوعُ اللّام ودلالتها بناءً على تعيين مرجع الضَّمير:

يختلف معنى اللّام على وفقِ عود الضَّمير في فعل الإنذار، فإن

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 52، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 474.

كان الضَّمير في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ﴾ عائدًا إلى الله تعالى، فاللّام للعاقبة، وتُسمّى لام الغرض أو الغاية، أي: يترتَّب على الإلقاء، ويعقبه، ويكون غايةً له هو أن ينذرَ الله تعالى يومَ التَّلاقي، وإن كان الضَّمير عائدًا إلى مَن يُلقى عليه الرّوح وهو الرَّسول، فاللّام سببيَّة، أي: يُلقي الرّوح مِن أمرِه على من يشاء مِن عبادِه؛ ليكون هذا الإلقاءُ سببًا في أن ينذرَ الرَّسول يوم التَّلاقي، والمعنيان صحيحان، والنَّظم يحتملهما، وإرادتهما أولى مِنَ الاقتصار على أحدهما.

تنوُّعُ المعاني لحروفِ المعاني أولى من الاقتصار على بعضِها

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارع:

جاء التَّعبيرُ بصيغة المضارع في قولِه تعالى: ﴿لِيُنذِرَ﴾؛ لإفادةِ تجدُّد الإنذار واستمراره؛ ففيه وجوبُ الإنذار ودوامه على الرُّسل وأتباعهم.

نكتةُ استعمال مفردة الإنذار:

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة الإنذار في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ﴾، والإنذارُ: تبليغٌ مع تخويف، دون ما يدلُّ على البشارة؛ لأنَّ السياق في الرَّدِّ على المشركين؛ فناسب ذلك ذِكر مادَّة الإنذار دون ما يقابله، وهو البشارة.

من عللِ اختيارِ الألفاظ مناسبةُ السّياقِ

بلاغةُ التَّضمين في فعل الإنذار:

لمّا كان أصلُ فعل ﴿لِيُنذِرَ﴾ لازمًا؛ لأنَّه مِن نذرَ، وكان دخولُ همزة التَّعدية تجعلُهُ متعدّيًا إلى مفعول واحدٍ، كأن يقال: أنذرتُ النّاسَ بالعدوِّ؛ كانت تعديةُ الفعل (أنذر) إلى مفعولين على تقدير تضمينِهِ معنى الفعل حذَّر[1]، فيكون قول القائل: أنذرت النّاسَ العذابَ على معنى إنذار النّاس وتحذيرهم من المفعول الثّاني، وهو العذابُ، فيكون حذفُ المفعول الأوَّل، وتعديةُ الفعل إلى المفعولِ الثّاني في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ على هذا المعنى، أي: ليُنذِر، ويحذِّر

الظّاهرُ من فعل الإنذار التَّبليغ مع التَّخويف وضُمِّنَ معنى التَّحذير

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 109.

النّاسَ يومَ التَّلاقي، فليس المقصودُ هو تخويفَ النّاس فقط، بل المرادُ كذلك تحذيرُهم ممّا يوقعهم في الهلاك يوم القيامة، والتَّحذير هو التَّبليغ مع التَّخويف الَّذي هو معنى الإنذار، لكنَّ التعديةَ التَّضمينيَّة تجعلُهُ واضحًا كالملفوظ به.

بلاغة المجاز بالحذف:

تقديرُ المحذوفات منساقٌ باعتبارِ اختيار المفردات

حُذِفَ المفعول الأوَّل لفعل ﴿لِيُنذِرَ﴾ لظهورِهِ بقرينة ذِكر المفعول الثاني الذي يفيد تلاقي عموم النّاس، والتَّقديرُ: لينذرَ النّاس يومَ التَّلاقي، ويحتمل أن يكونَ ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ظرفًا لمفعول ثانٍ محذوف، والتَّقدير: لينذرَ النّاس العذاب يوم التَّلاقي، فيكون الظَّرف ظرفًا للعذاب لا للإنذار، وتقديرُ العذاب منساقٌ مع لفظ الإنذار، ففيه مجازٌ بالحذف.

نكتةُ عمل الفعل في اسم الزمان:

لشدَّةِ هولِ يوم التَّلاقي حقيقٌ بأن يكون المنذرَ به

الظّاهر أنَّ اسم الزَّمان ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ هو المفعول الثاني للفعل ﴿لِيُنذِرَ﴾؛ لأنَّ الإنذارَ لا يكون في يوم التَّلاقي بل يكون به، أي: صار يوم التَّلاقي نفسه، هو المنذَر به، فيفيد المبالغة في المعنى، أي: إنَّه مِن شدَّةِ هولِهِ وفظاعتِهِ حقيقٌ بأن يكونَ هو المنذرَ به[1].

فائدة الإضافة:

اختصاصُ يوم القيامة بالتَّلاقي إضافيٌّ

الإضافة في قولِه تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ على معنى الاختصاص، أي: اختصاص هذا اليوم بتلاقي النّاس فيه، والاختصاص الذي تفيده الإضافةُ هنا إضافيٌّ؛ لأنَّ هذا اليوم سُمّي بيوم الحشرِ ويوم القيامة ويوم التَّغابن وغيرها، فتكونُ التَّسميةُ لها علاقة بسياق الكلام ومقامِه.

نوعُ تعريفِ لفظِ ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾:

التَّعريف في لفظ ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ عِوضٌ عن المضاف إليه المحذوف،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 271، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 109.

أي: يوم تلاقي النّاس، ويحتمل أن تكون عهديَّة، بمعنى اليوم المعهود فيه تلاقي النّاس، وسُمّي بيوم التَّلاقي لالتقاء جميع العالَم أوَّلهم وآخرهم فيه، فيلتقي بعضُهم ببعضٍ، ففيه من التَّعظيم والتَّهويل ما فيه؛ لأنَّ ذلك أمرٌ لم يتَّفق قبل ذلك اليوم، وليشمل التَّلاقي التقاء الظّالم والمظلوم والخصوم، ويلتقي فيه المؤمنون مع بعضِهم، والكافرون مع أقرانِهم، فلا حيلةَ لأحدٍ منهم في فراق غريمهِ بغير فصل على وجه العدلِ، فسمّاه يوم التَّلاقي؛ لالتقاء جميع أفراد العالم وأصنافِهم، ففيه كلُّ أنواع التَّلاقي، فيقفُ الخلقُ بعضُهم على حالِ بعضٍ[1]، وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ المرادَ عمومُ التَّلاقي، فيشمل تلاقي الأرواح والأجساد وأهل السَّماء والأرض، أو المراد المعبودونَ والعباد أو الأعمال والعمال[2]، وأجاز آخرون أن يكونَ المرادُ يومَ تلاقي النّاس بربِّ العالمين، أي: تلاقي الخَلق بالخالق[3]؛ لأنَّهم يلاقون ربَّهم مجازيًّا، أي: إنَّهم يقفون أمامَ حضرتِهِ يسألهم، ويحاسبهم، فهُم أمامَ أمرِه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: 7]، أي: لا يَرجونَ يومَ الحَشرِ[4]، واللَّفظ يحتمل جميع المعاني المذكورة، ولا تقاطع في معانيها؛ فلا يستحقُّ أن يوصف بالتَّلاقي على الحقيقة غير ذلك اليوم، وكأنَّ كلَّ يومٍ سوى هذا اليوم التَّلاقي فيه مجازيٌّ، وهو اليوم الحقيق بالوصف على التَّحقيق.

كلُّ تلاقٍ سوى تلاقي القيامة فمجازيٌّ؛ إذ هو الموصوف بالتَّلاقي على الحقيقةِ

توجيهُ القراءات القرآنيَّة:

قرأ يعقوبُ الحضرمي وحده: (لِتُنْذِرَ يومَ التَّلاقِ) بالتّاء، وقرأ الباقون: ﴿لِيُنذِرَ﴾ بالياء، فعلى قراءة: (لِتُنْذِرَ) يكون الخطاب للنَّبيِّ

القراءاتُ تتلاقى في معانيها ولا تتعارض في دلالاتها

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 4/ 33، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 499.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 54.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 300.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 109.

ﷺ، والفاعل أي: الضَّمير المستتر يعود إليه[1]، والمعنى: لتنذرَ يا محمَّدُ ﷺ يوم التَّلاقي، فتكون هذه القراءة قرينةً على أنَّ الضَّمير في قراءة ﴿لِيُنذِرَ﴾ يعود إلى المُلقى عليه الرّوح، ولا مانع مِنَ الجمع بين القراءتين، على معنى الجمع بين المعنيين.

بلاغةُ البدلِ في الأزمان:

قولُه تعالى: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ بدلٌ من المفعول به ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[2]، فكأنَّه قيل: لينذرَ يومَ هم بارزون؛ لأنَّ البدلَ على نيَّة تَكرار العامل، فيكون هذا اليوم نفسُهُ هو المنذَر بهِ؛ إشعارًا بهولِ موقفِ بروزِهم وظهور أعمالِهم، وليس البدل هنا على نيَّة سقوط المبدلِ منه، بل كلاهما مقصودان، فيفيد الكلامُ بمجموع البدلِ والمبدلِ منه مزيدَ الاعتناء بشأنِ ذلك اليوم كما يفيد بيانه وتفصيل الحالِ فيه، والمعنى: لينذر يوم التَّلاقي، وينذرَ يومَ هم بارزون.

الإيذانُ بهول الموقف يوم تلاقي النّاس وبروزِهم وانكشافهم

دلالةُ إضافةِ الزَّمن إلى الاسميَّة:

أُضيف ﴿يَوۡمَ﴾ إلى الجملة الاسميَّة ﴿هُم بَٰرِزُونَۖ﴾؛ لإفادةِ أنَّه ممّا نزَّل فيه المستقبل منزلةَ الماضي، أي: قد وقع ومضى؛ للإيذانِ بتحقُّقِ وقوعِه.

بلاغةُ استعمال مفردة ﴿بَٰرِزُونَۖ﴾ بين الحقيقة والكناية:

لمّا كان البروزُ هو الظُّهور في فضاءٍ والخروج من موضعٍ إلى ما يكون فيه الظُّهور واضحًا مكشوفًا[3]، أخبر عن الخلقِ بأنَّهم بارزون؛ ليفيد اللَّفظ عموم البروز، فيشمل خروجَهم من قبورِهم بحيث لا يسترهم شيءٌ، وكونهم ظاهرين في براز من الأرض، ينفذهم البصرُ، ويسمعهم الداعي، لا يسترهم شيءٌ من جبلٍ أو بناءٍ أو

بروزُ النّاس يوم القيامة يدلُّ على انكشاف الأبدان وظهور الأعمال

(1) الأزهري، معاني القراءات: 2/ 344، والبغوي، معالم التنزيل: 4/ 180، وهي قراءة شاذة عن يعقوب.
(2) العكبري، التبيان: 2/ 1117، وابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 4/ 551.
(3) الراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (برز).

مرتفعٍ؛ لأنَّ الأرضَ حينئذٍ قاعٌ صفصفٌ، وليس عليهم ثيابٌ، لكونِهم عراةً مكشوفين، ويحتمل أن يكونَ لفظُ ﴿بَٰرِزُونَۖ﴾ كنايةً عن ظهور أعمالِهم وانكشاف أسرارِهم، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق: 9][1]، ولا يمتنع أن يكونَ المرادُ جميعَ ما ذكر، بأن يراد من ﴿بَٰرِزُونَۖ﴾ الملزومُ: وهو ظهور ذواتِهم، ولازمُه: وهو ظهور أعمالِهم.

نكتةُ إيثارِ التَّعبير بصيغة اسم الفاعل:

إذا برز العبادُ فلا ساتر لهم إلّا الله

أوثرَ التَّعبير بصيغة اسم الفاعل في لفظ ﴿بَٰرِزُونَۖ﴾ على الفعل (يبرزون) لِما في صيغة اسم الفاعل من الدَّلالة على ثبوت البروز واستقرارِه وتمكُّنه من الخلق جميعًا، فالبروزُ قائم بهم لا ينفكُّ عنهم؛ إظهارًا لقهرِ الله وقدرتِه على جميع العباد، فبروزُهم ثابتٌ لا يتغيَّر إلّا بإذنه ﷻ.

نكتةُ حذفِ متعلِّق اسم الفاعل:

حُذِفَ متعلِّق اسم الفاعل: ﴿بَٰرِزُونَۖ﴾؛ ليفيدَ تقرير عموم البروز، أي: ما يشملُ جميع المعاني المذكورة[2]، من ظهور الأبدان والمعاني والأعمال.

بلاغةُ الفصل وفائدته:

الإحاطةُ والشُّمولُ لجميع البشر فلا مهرب ولا مسرب

جاءت جملة: ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ مفصولةً عمّا قبلها، وذلك لما بينهما مِن كمال الاتِّصال؛ لأنَّها بيانٌ وإيضاحٌ لجملة: ﴿هُم بَٰرِزُونَۖ﴾[3]، وقد يقالُ: مجيء الجملة بيانًا وإيضاحًا لما قبلها إنَّما يكون إذا كان في الجملة الأولى نوعُ خفاءٍ، وكانَ المقامُ مقامَ إزالةٍ له، والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيءٌ، فما سببُ مجيء: ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ بيانًا لما قبلها؟

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 156، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 499، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 54، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 271.

(2) الشربيني، السراج المنير: 3/ 474 - 475.

(3) الزَّمخشري، الكشاف: 4/ 156، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 271، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 121.

والجوابُ هو أنَّهم كانوا يتوهَّمون في الدُّنيا - إذا استتروا بالحيطان والحجب - أنَّ الله لا يراهم، وتخفى عليه أعمالُهم، فهُم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهَّمون فيها مثل ما كانوا يتوهَّمونه في الدُّنيا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: 22][1]، فالبيانُ لدفع ما يتوهَّمه الجهلةُ من المعاني، ولتأكيد ذلك الأمر، وللإحاطةِ والشُّمول لجميع البشر البارزين له يوم القيامة، فلا منفذ لأحد ولا مهرب.

فائدةُ إيثارِ أسلوب النَّفي على أسلوب الإثبات:

جاء قولُهُ تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ على أسلوب النَّفي دون الإثبات، وذلك لإزالةِ وهمهم في أنَّ بعض أعمالِهم قد لا تنكشف يوم القيامة، كما أنَّ في الجمعِ بين إثبات بروزِهم ونفي خفاء أيِّ شيءٍ منهم فيه بيانٌ لتمام ظهورهم وانكشاف أعمالِهم، ففيه تقريرٌ لِتمام الظُّهور وغايتِه، كما أنَّ في جملة النَّفي إشعارًا بالوعيد للمخاطَبين والتَّبكيت للَّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر بظهور ما كانوا يخفونه بعد أن أنذرَهم ذلك اليوم، وللإيماءِ إلى بقيَّة النّاس الَّذين يظنّون أنَّهم لن يُفضحوا في ذلك اليوم المشهودِ الَّذي يوم التَّلاقي، ليحذروا مِن عقاب الله وجزائه.

أعمال العبادِ مفضوحةٌ يوم التَّلاقي لا يسترها إلّا صاحب الموقف سبحانه

فائدةُ التَّعبير بصيغة المضارع:

جاء التَّعبيرُ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ دون أن يقول: (غير خافٍ) ونحوه؛ للتَّعريض بما يظنُّه المشركون أنَّهم يخفون على الله تعالى، فنفى ﷻ أن يصدرَ عنهم فعلٌ يخفون به عن الله تعالى، والظُّهور متجدِّدٌ لا يتوقَّف عند حدٍّ، وهو بأمر الله تعالى يكون.

الكشفُ عن خفايا نفوس الجاهلين

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 156.

نكتةُ إظهارِ لفظ الجلالة بعد إضماره:

تقدَّم أنَّه لمّا كان الضَّمير المستتر في الفعلين ﴿يُلْقِي﴾ و﴿يَشَآءُ﴾ عائدًا إلى الله تعالى، وكان الضَّميرُ في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ محتملًا أن يكونَ عائدًا إلى الرَّسول ﷺ، اقتضى ذلك إظهارَ اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾، فلو قيل: (لا يخفى عليه)؛ لَتوهِّمَ عودُ الضَّمير إلى فاعل الإنذار، كما أنَّ في إظهار الاسم الجليل الجامع لصفات الكمال والجلال زيادةً في ترهيبِ المخاطَبين وتخويفِهم، والمقام يقتضيه، بل هو المقصود الأوضح من الإظهار.

ترهيبُ المخاطَبين يقتضي إظهار الاسم الجليل

نكتةُ تعدية فعل الإخفاء بحرف الاستعلاء:

عُدّي الفعل ﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ بحرف الجرِّ ﴿عَلَى﴾؛ لإفادة إحاطةِ الله تعالى بهم؛ فنفْيُ الخفاء على الله تعالى يلزم منه انكشافُ ذواتِهم وأحوالِهم وأعمالِهم على طريق الاستيعاب والتَّمكُّن.

فائدةُ تقديم ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ على الفاعل:

قدِّمَ الجار والمجرور ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ على الفاعل ﴿شَيْءٌ﴾ على خلاف مقتضى الظّاهر؛ لأنَّ أصلَ الكلام: لا يخفى شيءٌ على الله منهم، ومناسبة التَّقديم هي التَّخصيص والتَّأكيد، بمعنى: تخصيص عدم خفاء شيءٍ منهم بكونهِ على الله وحده، ففيه تقريرٌ لوحدانيَّة الله تعالى وقهرِه لهم، لظهور خضوعِهم له وحدَهُ، وهذا من مناسباتِ تذييلِ الآية بالوصفين الجليلين في قولِه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

تخصيصُ نفي الخفاء على الله تعالى

نوعُ (مِنْ) وفائدتها:

حرفُ الجرِّ (مِنْ) في قولِه تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ للتَّبيين، فهي بيانٌ للمراد ممَّن نفى الله تعالى الخفاءَ عليه؛ لأنَّ السّياقَ في بيان ظهور العباد وانكشافِهم عند الله تعالى لأجلِ المجازاة، وليس لمجرَّد الظُّهور فقط، فأفاد ذِكرُ حرفِ الجرِّ (مِنْ) بيانَ مَن يقع عليه

الجزاءُ يوم القيامة إنَّما هو للعباد دون ما لا يصحُّ له من غيرِهم

الجزاءُ؛ ليفيد تخصيص الجزاء لمن يستحقُّه دون ما لا يصحُّ له من غير العباد[1].

تعيينُ مرجع الضَّمير وفائدة مجيئِهِ جمعًا:

صلاحُ الضَّمير ليرجع على مجموعِ الذَّوات والأحوال

يعود الضَّمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ إلى العباد في قولِه تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، والمعنى مِن مجموعِهم، أي: مجموع ذواتِهم وأحوالِهم وشؤونِهم فيشمل بواطنهم وسرائرهم، ولهذا أوثِرَ ضميرُ الجمع على ذكر العباد أو النّاس؛ لِما في الضَّمير من الإجمال الصالح لتقدير مضافٍ مناسب للمقام[2].

سرُّ تقديم ﴿مِنْهُمْ﴾ على الفاعل:

اللهُ تعالى لا تخفى عليه ذواتُ النّاس ولا أعمالُهم ولا أحوالُهم

قدِّمَ الجار والمجرور ﴿مِنْهُمْ﴾ على الفاعل ﴿شَيْءٌ﴾؛ ليفيد بالتَّقديم الحاليَّة، ولو أُخِّرَ؛ كان صفةً، فأفاد بالحاليَّة معنيين: أحدهما لا يخفى على اللّه شيءٌ، ففيه إثباتُ نفي خفاءِ أيِّ شيءٍ على اللّه تعالى وحده، أي: مِنهم ومن غيرِهم ومِن جميع الأكوان، والثّاني: لا يخفى على اللّه من ذواتِهم وأحوالِهم وأعمالِهم شيءٌ، وهو الَّذي جاء له السّياق المقتضي العناية والاهتمام بهم.

نكتةُ استعمالِ مفردة ﴿شَيْءٌ﴾:

الاستغراقُ الشُّمولي لكلِّ ما يُطلق عليه شيء

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة ﴿شَيْءٌ﴾ دون (أحد) في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾، ولم يقل: (لا يخفى على اللّه منهم أحدٌ)[3]؛ لأنَّه لو قيل: (أحد)؛ لكان المقصود الأعيان، أي: نفي خفاء أجزاء جسمِه، مع أنَّ الحسابَ يكون على الأعمال والأحوال الَّتي كانت في الدُّنيا، والعذاب أو الثَّواب للذَّوات والأعيان.

(1) ابن فورك، تفسير ابن فورك: 2/ 350 - 351.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 109.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 109 - 110.

نكتةُ تنكير ﴿شَيۡءٞۚ﴾:

جاء لفظُ ﴿شَيۡءٞۚ﴾ نكرةً في سياق النَّفي أفاد العموم للأعيان والأحوال، الَّتي عملوها في الدُّنيا وأحوالهم الجليَّة والخفيَّةِ السّابقةِ واللّاحقةِ[1].

توجيهُ جملة: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ بين الاستئنافِ والحاليَّةِ:

قولُهُ تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ إمّا أن يكون مستأنفًا استئنافًا بيانيًّا؛ إشعارًا بعدم علمِ السّائل بما سُيقال في ذلك اليوم وتشويقًا له إلى السُّؤال، فإنَّه لمّا أخبرَ أنَّ جميع العباد بارزون، وبيَّن أنَّه لا يخفى على الله منهم شيءٌ؛ تشوَّق المخاطَبون إلى معرفة ما يقال، فكأنَّه قيل: فماذا يُقال عند بروزِ عباد الله تعالى وظهور أعمالِهم في ذلك اليوم[2]، أو: فماذا يكون بعد ظهورِ النّاس وأعمالهم وانكشافهم جميعًا[3]؟ تنبيهًا للمخاطَبين إلى هول الموقف، فقيل: يُقال: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، فالجملة استئنافٌ عن السَّبب العام.

أعظمُ قولٍ وأكبرُهُ وأجمعُهُ يسمعه العباد ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾

وإمّا أن تكون جملةُ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ مع جوابها مقولةً لقول محذوفٍ، حكايةً لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يُجابُ به، فيكون القولُ والمقول بتمامِهِ جملة في موضع الحال، وصاحبُ الحال لفظُ الجلالة في ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾، والتَّقدير: يقولُ اللّهُ لمن الملك اليوم[4].

نكتةُ حذف قائل: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾:

حُذِفَ قائل القول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾؛ للتَّهويل والتَّفخيم، فإنَّ المقام مقامُ بيانِ صعوبةِ الأمر وشدَّة ذلك اليوم، أي: إنَّ الله

(1) الشربيني، السراج المنير: 3/ 475، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 271، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 309.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 556.

(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 310.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 53، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 271، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 111.

أقـوالُ التَّهويلِ والـتَّـفـخـيـم تـقـتـضي حـذف القائل وتسليط الـضّـوء عـلى القول

تعالى يقرِّر هذا التَّقريرَ، ويقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، ويسكتُ العالَمُ هيبةً وجزعًا، فيجيب هو نفسُهُ: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[1]، وذكر بعضُ المفسِّرين أنَّ السّائل هو الله، والمجيب هو ملَكٌ مِنَ الملائكة أو مجموعة منهم أو أهل المحشر، أو السّائل هو ملكٌ أو مجموعة من الملائكة، والمجيب أهل المحشر قولًا أو حالًا، أي: بما دلَّ عليه ظاهرُ حالِهم من الخضوع والذِّلَّة والعبوديَّة[2]، وأيًّا ما كان وجه تعيينِ السّائل والمجيب، فإنَّ المقصودَ ظهورُ قهرِ الله تعالى على جميع الخلقِ وخضوعِهم له إجلالًا لهيبته وإعظامًا لكبريائِه، وخاصَّة ملوكَ الدُّنيا وجبابرتهم، فإنَّهم ينحنون لعظمتهِ سبحانه حياءً وخجلًا وندمًا، لا يتكلَّم منهم أحدٌ.

نوعُ اللّام وفائدتها:

اللّام في قولِه تعالى: ﴿لِّمَنِ﴾ للملك، فيكون السُّؤال عن مالك الملك، وما يدلُّ عليه من بيانِ نزعِ الملك من جميعِ العبادِ في الأرض.

بلاغةُ الاستفهامِ المجازي وغرضه:

الاسـتـفـهـام لتقرير المخاطَبين في نفي الملك عن الخلائق وإثباته لله وحدَه

جاء الاستفهامُ في قولِه تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ على طريق المجاز، وهو استفهامٌ تقريريٌّ لجميع الخلائق يوم القيامة على ظهور المالك المقتضي وحدانيَّته وقهرَه لجميع العباد، وظهورَ عظمتِه وكبريائِه سبحانه؛ ليشهدَ الطُّغاةُ والمتكبِّرون والجبابرة الَّذين كانوا في الدُّنيا أنَّهم كانوا مخطئين فيما يزعمونه لأنفسِهم مِن ملكٍ لأصنامِهم، حين يضيفون إليها التَّصرُّف في شؤون الأرض والسَّماء، وأنَّهم كانوا مخطئين فيما يزعمونه أنفسهم مِن سلطانٍ على النّاس، لا يشاركهم فيه غيرُهم، وتقرير لأتباعِهم في بيان خطأِ

(1) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 4/ 551.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 500، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 53، والشربيني، السراج المنير: 3/ 475، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 34.

اتِّباعِهم للطُّغاة المتجبِّرين، كما أنَّ في الاستفهام تشويقًا إلى معرفة الجواب؛ لأنَّ من يسمع استفهامًا - ولا سيَّما في ذلك المقامِ المهيب المهول العظيم - يترقَّب جوابه، فيتمكَّن منه فضلَ تمكُّنٍ لا يحصل في غيرِهِ[1].

كما أنَّ الاستفهامَ أفاد معنى النَّفي؛ فإنَّ غرضَ التَّقرير إثباتُ الملك لله تعالى وحده، ونفيه عمَّن سواهُ مِن الخلائقِ.

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾:

(أل) في لفظِ ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾ للجنس المفيد للاستغراق، فيدخل فيه كلُّ ما يصلح أن يوصفَ بأنَّه ملكٌ، فلا يبقى لأحدٍ زعمٌ بأنَّه يملك شيئًا.

مناسبةُ تقديم المسندِ على المسند إليه:

مناسبةُ الجوابِ لـلاستفهام في مجيئِهما بأسلوب القصر

قُدِّمَ المسندُ، أي: الخبر مِنَ الجار والمجرور على المسند إليه، أي: المبتدأ في قولِهِ تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ﴾؛ لإفادة أنَّ الاستفهام عن قصر المسند على المسند إليه المقتضي تخصيصه به، فيكون الجواب مفيدًا تخصيصَ الملك بالله الواحد القهّار.

غرضُ ذِكر ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ مع بدهيَّته:

توريثُ الكافرين الحسرة والنَّدامة بعد تعيين الزَّمن الَّذي أنكروه

﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ ظرفُ زمان، قصد به بيانَ الوقتِ الَّذي يقع فيه الاستفهام، أي: قولُهُ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ﴾، ولمّا كان السّياق في بيان ما يقع للعباد يوم التَّلاقي يوم هم بارزون؛ أفادَ أنَّ المرادَ باليوم يوم تلاقي الخلق أو الخلق بالخالق، وهو عينُهُ يوم بروزِهم وظهور أعمالِهم وأحوالِهم لله تعالى، وإنَّما خُصَّ التَّقرير بذلك اليوم مع أنَّ الملكَ لله الواحد القهّار في الزَّمان كلِّهِ وأيّامِ الدَّهر أجمع، أي: في ذلك اليوم وغيرِه؛ لظهور ذلك لِلكفرةِ والجبابرة ووضوحِه ذلك اليوم، فهُم المعنيّون بالتَّوبيخ والتَّبكيت[2]، فغرضُ ذِكر ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ توريثُ الحسرةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 110.

(2) ابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 4/ 551، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 245.

والنَّدامة على ما فرَط به الكافرون في الدُّنيا، وتضييعهم لدنياهم في اكتساب الإجرام والفسق والمعصية.

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ للحضور، وحضوره بالنِّسبة للقول المحكيِّ أنَّه يقال فيه، أي: اليَومُ الَّذي وقَعَ فيهِ هَذا القَولُ[1].

نكتةُ ذِكر جواب الاستفهام التَّقريري:

تعيينُ الحكم بصدورِهِ عن الواحد القهّار ليُعلمَ حالُ الحكم على المشركين

لمّا كان الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ مجازيًّا تقريريًّا، وكان الأصلُ فيه ألّا يكونَ له جوابٌ؛ لأنَّه مسوقٌ لتقرير المخاطَبين في أنفسِهم، كان التَّصريح بالجواب وذكره لنكتةٍ، وهي أنَّه لمّا كان الكلامُ في سياق إثبات وحدانيَّة الله تعالى وظهور ملكِه ببروز الخلق وانتفاء خفاء أيِّ شيءٍ مِن أحوالِهم وأعمالِهم؛ ناسب ذكر الحقيقة وإظهارها، وليكون ذِكرُ الجواب أشدَّ على المخاطَبين مِنَ الكفرة من إقرارِهم بملكِ الله تعالى، فيتيقَّنون بسماع الجوابِ أنَّه لا حيلةَ لهم عندَ أحدٍ غير الله، وأنَّهم في قبضةِ قهرِه سبحانه، كما أنَّ في ذكر الجواب تعيينًا لصفتين مِن صفات الله تعالى، وهما ﴿ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾، وهما موضع الكلامِ ومقصده، فالحكمُ للواحد القهّار.

نوعُ اللّام ودلالتها:

اللّام في قولِه تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾ للملك؛ لأنَّه لمّا كان السُّؤال عن الملك؛ أُجيب بما يوافقه، أي: الملكُ لله الواحد القهّار، وبه يقع الاختصاصُ، ونفيه عمّا سواه.

مناسبةُ تذييلِ الآية بالوصفين الجليلين:

ذُيِّلت الآيةُ بالوصفين الجليلين: ﴿ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ لمناسبتِهما لسياق الكلام ومقامِه، فإنَّ سياقَ الآياتِ هو في إثبات وحدانيَّة الله تعالى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 110.

القيامةُ تتجلّى فيها مظاهرُ الوحدانيَّة وأحكام القهار

والإخلاص له، فناسبَ ذِكرُ وصف ﴿ٱلۡوَٰحِدِ﴾، ولمّا ذكر الله تعالى يوم الحشر المفيد لقهرِه تعالى العباد بإماتتهم، ثم قهرِه في تلاقيهم بخروجِهم من قبورِهم وبروزِهم جميعًا وقهرِه في ظهور خضوعِهم له سبحانه في ذلك اليوم العظيم، وكونهم في قبضتِه؛ ناسب ذِكر وصف ﴿ٱلۡقَهَّارِ﴾، فكان ذِكر الوصفين مناسبًا لِما شاهدَه الخلقُ جميعًا من دلائل وحدانيَّتِه وقهرِه جميع الطُّغاة والجبابرة المتكبِّرين[1].

نكتةُ تقديم أحدِ الوصفين على الآخر:

تقديمُ ما له حكمُ الموصوف على الوصف

قُدِّمَ وصف ﴿ٱلۡوَٰحِدِ﴾ على وصف ﴿ٱلۡقَهَّارِ﴾؛ لأنَّ قهّاريَّته تعالى من وصف وحدانيَّتِه، كما أنَّ الكلامَ على الوحدانيَّة سبق الكلام على ما يفيد قهرَهُ للعباد وخضوعهم له سبحانه، وفي التَّقديم نكتةٌ أخرى، وهي رعاية الفاصلة.

نكتةُ تعريفِ الوصفين:

الكمالُ صفةٌ تتجلّى في جميع أوصاف صاحب الكمال

لمّا جاء الاسمان الجليلان ﴿ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ وصفَين للاسم الأعرف ﴿لِلَّهِ﴾؛ اقتضى أن يكونا معرَّفين، و(أل) في الوصفَين لإفادة كمال الوصف، بمعنى كمال وحدانيَّتِه وكمال قاهريَّتِه تعالى، فلا شريكَ له ولا قاهرَ غيرُه.

نكتةُ المبالغة في ﴿ٱلۡقَهَّارِ﴾:

وصف ﴿ٱلۡقَهَّارِ﴾ على معنى المبالغة لمجيئِه بصيغة (فعّال)، والمعنى كثيرُ القهر عظيمُه مع كمالِ قهرِه، فجميع الخلقِ مسخَّرٌ في قدرتِه عاجزٌ في قبضتِه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 111.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»